التضاد والتماسك النصي
في لاميّة العرب للشنفرى

د / ابتسام رجب عبد الجواد طبل

أستاذ مساعد بكلية العلوم والأداب بطبرجل
جامعة الجوف المملكة العربية السعودية.

التضاد والتماسك النصي في لاميّة العرب للشنفرى

محاور البحث :

الملخص

١-أولاً: المقدمة :اللامية/ وأهميتها في الدرس الأدبي

٢-ثانيًا : التضاد على المستوى الإفرادي

أ-التضاد/وسياق الفخر

ب- التضاد / ومنظومة القيم

ج- التضاد /والشرّاح

٣-ثالثًا : التضاد والمستوى التركيبي

أ-الأنا /والنحن في السياق القبلي

ب- التضاد / والحقل الدلالي

رابعًا: الخاتمة وأهم نتائج البحث

خامسًا: المصادر والمراجع

الملخص

نسج الشنفرى اللامية على قاعدة جدلية؛ لأنها كانت نتيجة لأسباب خارجية،وهي نفي القبيلة وخلعه من طاعتها؛ فكان من المنبوذين، فخرج هائمًا على وجه في الصحراء باحثًا عن الحرية فافترش الصحراء، واتخذ الصعلكة سبيلاً، وسلوكًا للعيش،والتحق بجماعتها، وصادق الوحوش الضارية في الصحراء،فأخذ يسرد حياته في هذه اللامية كأنها سيرة ذاتية، فافتخر بنفسه وبقوته وقدرته على الإغارة والغزو، كما افتخر بسمو أخلاقه وقيمه وترفعه عن الدنايا والصغائر،وكل هذه القيم كفيلة بالاعتراف به من قبل المجتمع القبلي، ولقد احتوت هذه اللامية على كل التقنيات الأسلوبية التي تجعلها تُغري الباحث الأدبي، في البحث عن جمالياتها وصورها البديعة،فاتخذ البحث(تقنية التضاد) وهي أحد العلاقات المعجمية في (علم الدلالة) لدراساتها من الناحية الشكلية والدلالية ومدى قدرتها على تماسك النص من خلال العلاقات الناشئة داخل النص الأدبي، ولقد التحمت هذه التقنية بالتجربة الشعرية، فاللامية تحمل في طياتها فكرة (الهدم والبناء) (المواجهة والانحسار)، (القيم السلبية في مواجهة القيم الإيجابية).

وهذه المعاني هي متخيله في ذهن الشاعر، وكأنه يبحث عن الفردوس المفقود،أو المدينة الفاضلة المنعدمة في هذه الصحراء القاحلة فجاءت اللامية كأنها نشيد الصحراء الخالد على مر الزمان يعطي صورة كاملة عن حياة الصعلكة وأنها ليست شرًا محضًا؛ بل تحمل كثير من المعاني النبيلة المفتقدة في ظل الصراعات والفروق الطبقية في تلك البقعة وفي ذلك الزمان.

ولذلك اخترت تناول هذه اللامية بالبحث وجدير بالذكر أن هناك لامية تسمى لامية العجم للطغرائى وقد عالج بنية التضاد بها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن فوده في بحث بعنوان(بنية التضاد في لامية العجم للطغرائي) فكانت لامية العرب أولى بالبحث والدرس.

أولاً : المقدمة

اللامية/ وأهميتها في الدرس الأدبي

تعتبر لامية الشنفرى[١] من عيون الشعر العربي في العصر الجاهلي، حيث كانت محل عناية من اللغويين والنحاة، قدماءً ومتأخّرين منهم : المبرد"ت ٢٨٦هـ"و" تعلب"ت ٢٩١هـ" و"التبريزي ت ٥٠٢هـ" الزمخشري "ت ٥٣٨هـ"و"العكبري "٦١٦هـ" إلى جانب هذه الشروح نجد أصحاب الاختيارات بعد القرن الثالث الهجري يُعنون بها ؛ فقد جاءت في ذيل الأمالي لأبي علي القالي، وفي مختارات ابن الشجري، وخزانة الأدب للبغدادي[٢] وتجاوز الاعتناء باللامية المستشرقين، الذين ترجموها ودرسوها، لأنهم – كما يقول يوسف خليف – وجدوا فيها "صورة متقنة لحياة الأعراب في الجزيرة العربية [٣].

-أما عن سياق اللامية وموضوعها ينحصر في تصوير نفسية الشاعر، وهو غاضب على قبيلته، وساخط على ظروفه، فقد هجر حياة القبيلة والتحق بالصحراء، وعاش مع الوحوش الضارية،والذئاب المفترسة، كما اتخذ العدو والقتال والغزو والصبر والجوع وسائل ومظاهر لحياته المضطربة،يقول محقق ديوان الشنفرى، إميل بديع يعقوب، في معرض حديثه عن لامية العرب :" فاللامية – برأينا – قصيدة من درر القصائد العربية بالنسبة إلى صدق العاطفة، ودقة التصوير، وروعة الوصف وإيجاز العبارة، إنها أصدق قطعة شعرية من أغاني الصحراء، بل هي نشيد الصحراء، أنشده شاعر اتصف بالشجاعة، وقوة الإرادة، والاعتزاز بالنفس، والثقة التي ترافق الرجولة، وبحب الحرية وإن أدّت إلى الجوع والمخاطر والأهوال (...) [٤]

---

[١] هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر المشهور من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب، قال الشعر بلغة عرب الشمال، لأنه وقع أسيرًا وهو صبي في بني شبانة بن فهم، فانتمى إليهم وتعلّم عنهم لغة نجد، ولم يزل فيهم حتى أسر بنو سلامان بن مفرج من الأزد رجلاً من بني شبابة، فقدت بنو شبابة هذا الرجل بالشنفرى، وكان في بني سلامان كواحد منهم ...فأخذ يغير على بني سلامان ويقتل كثيرًا منهم وصحبه تأبط شرًا في كثير من الغزوات وأخيرًا قتل الشنفرى في أحد غاراته سنة ٧٠-ق-هـ، والشنفرى هو عظيم الشفتين ينظر: ترجمته في الأغاني للأصفهاني، ديوان المفضليات للظبي ، خزانة الأدب للبغدادي

[٢] انظر : رسالة الأسلوب في لامية العرب للشنفري "دراسة في البنية اللغوية، رسالة ماجستير، رشيد بن قسيمة،جامعة محمد، الجزائر، ٢٠٠٩

[٣] انظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي د/ يوسف خليف، طبعة دار المعارف د،ت، ص ١١٨، ومابعدها .

[٤] ديوان الشنفرى، تحقيق د/ أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ص ٢١-٢٢

-فالقصيدة تصور عالمين :عالم القبيلة بما يحمل من قيود وتقاليد صارمة تقيد من حرية الشاعر وعالم جديد: يتسم بالحرية والرحابة والانطلاق متحللاً من أية قيد أو التزام .

فالشاعر- ينفي عالم القبيلة بما يحمل من قيم وتقاليد صارمة وأفكار بالية، ويثبت عالمه الجديد (عالم الصعلكة بما يحمل من قيم وأفكار وسلوك) فكل محاورها تصب في موضوع واحد وهو (التحرر من قيود القبيلة)؛لأنه من طائفة الأغربة السود[١]المنبوذين، فأنشأ قصيدته لتكون (سيرة ذاتية) عن حياته الجديدة التي تلبس بها، فترك الأنس في عالم الإنسان،وأخذ يبحث عنه في عالم الحيوان .

وأما تسميتها " لامية العرب : يرجع إلا قافيتها اللام ... وهناك لاميات أخرى تركها الشعراء الجاهليون [٢] ولكن هذه اللاميات، لم تبلغ شهرتها مبلغ ما وصلت إليه لامية الشنفرى، وتوجد لامية أخرى هي لامية العجم " للطغرائي " [٣] والمدة بين اللاميتين طويلة جدًا. فهناك فرق بينهما في سمو المعاني،والمقاصد؛لأنهاصرخة وجود إنساني، وأنشودة حنان وتحدٍ للواقع،أغنية الصحراء الرائعة .

فالقصيدة دلاليًا مبنية على التقابل الإحالي بين الغياب والحضور، والفعل ورد الفعل، والسلب والإيجاب، والتالد والطارف، والمتحقّق والممكن، والجمع والمفرد و(الآخر) و(الأنا) وهكذا أنتج جدل المتناقضات جسد اللامية، فارتسمت خريطتها الجينيَّة التي تنصُّ فكر الشنفرى.

---

[١] وتنقسم الصعاليك إلى طوائف : طائفة الخلعاء والشذاذ: وهم أولئك الذين طردتهم قبائلهم من حماها، وتبرأت منهم وأعلنت أنهم لم يعودوا ضمن وصايتها ولاتحت حمايتها، فهم لايمثلونها وهي لاتمثلهم ولاتوجد صلة بينها وبينهم، وطائفة الأغربة السود : والعرب تطلق لفظ الأغربة على أولئك الأشخاص من أبناء الإماء السود أو الحبشيات، الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، لأن دمائهم ليست عربية صريحة بل خالطها دم أجنبي
ومن أولئك : تأبط شرًا، والشنفرى، والسليك بن السلكة فهم بخروجهم سعوا إلى إثبات ذواتهم وكفاءتهم للعرب البيض أو الصرحاء ومحاولة انتزاع الاعتراف المغيب بهم كل يمثل نفسه .ثم طائفة الفقراء المتمردين : وكان القاسم المشترك بين أفراد هذه الطائفة هو الفقر المدقع .لتفصيل ذلك :انظر / عبده بدوي : الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي : الهيئة المصية العامة للكتاب – مصر د،ت سنة ١٩٨٨، وانظر: أحمد كمال ذكي : شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – مصر د، ط سنة ١٩٦٩ .وانظر : رسالة ماجستير بعنوان : صورة المرآة في شعر صعاليك العرب : عبد العزيز بزيان، جامعة منتوري : قسطنطينة، طلية الآداب واللغات، ٢٠١٢م

[٢] أمثال : عنترة، والنابغة، وطرفه، وعلقمة وامريء القيس، وفي صدر الإسلام ترك كعب بن زهير لاميته المشهورة " بانت سعادفقلبي اليوم متبول"

[٣] فإذا كانت لامية العرب، قد قيلت قبيل فجر الإسلام، فإن لامية العجم، نظمت في غضون تاريخ ١١٢٠ وعليه فإن المدة بين نظم الاثنتين.تقرب من (٥٠٠) عام

وبما أن القصيدة قامت على التقابل الإحالي والثنائيات الضدية سيكون موضوع هذا البحث(بنية التضاد والتماسك النصي) من الناحية الشكلية والدلالية مستخدمين آلية التحليل الأسلوبي، في ضوء مناهج علوم النص والبلاغة دون الفصل بينهما . فالعلاقة بين الدلالة والبلاغة علاقة تأثير وتأثروبهذا صار المعنى وانزلاقاته عاملاً مشتركاً بينهما[١]، ومن ثم يجب التوحيد بينهما، ثم تقسيمه إلى (المستوى الإفرادي)و (المستوى التركيبي) فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية .

ثانيًا: التضاد /والمستوي الإفرادي.

-تساهم العلاقات الدلالية –علاقة التضاد- التي تنشأ بين الكلمات المعجمية[٢] سواء بالقوة أو بالفعل[٣] في تماسك النص واتساقه من الناحية الشكلية[٤]، فقيمة " التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين وعلى هذا فلن يكون له أي تأثير ما لم يتداع في توالٍ لغوي"[٥] وللتقابل وجهين؛ وجه معنوي منطقي نال عناية علماء المنطق والأصوليين، ووجه لفظي جمالي نال عناية البلاغيين، واحتاروا في موضعه، فأضافه ابن المعتز في باب البديع وعدَّه محسناً معنوياً،وتبعه جمهور البلاغيين من بعده."فالضدّ بالكسر والضدَّية المثل والمخالف "[٦]، وقد أشار بعضهم إلى التضاد بأنه قد يؤدي إلى معنى المقابلة التي تعني "إن يؤتى بمعنيين متوافقين، أومعانٍ متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب "[٧]

---

[١] انظر :العلاقات الدلالية في التراث العربي، دراسة تطبيقية، د. عبد الواحد حسن الشيخ، الإسكندرية، مكتبة الإشعاع، ط١٤١٩/١١هـ .ص ١٧٣

[٢] انظر:لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب :محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ط١، ٢٠٠٦ص ٢٥

[٣] التضاد هو " توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك،انظر :لسانيات النص : محمد خطابي :مدخل إلى انسجام النص :ص ٢٥

[٤] مفهوم الاتساق : في اللغة : ورد في لسان العرب لابن منظور حول المادة (و،س-ق) :" اتّسقت الإبل واستوسقت : اجتمعت ...والطريق بأتّسقُ ويتسقُ أي يَنْظُمٌ، واتّسق القمر : استوى، واتساق القمر : امتلاؤه واجتماعه ...والوسق ضم الشيء إلى الشيئ فالاتساق هو الانتظام انظر :ابن منظور : لسان العرب مادة (و س ق) مج ١٠، ص ٣٧٩-٣٨٠/ فالاتساق لايخرج عن معاني : الاجتماع والانتظام والانضمام والاستواء والامتلاء، واصطلاحًا : عرف الاتّساق تعريفات متعددة، غير أنّ " أغلب الباحثين عدوه متصلاً بالبنية السطحية الشكلية للنص لاشتماله على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص، كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة.

[٥] علم الأسلوب مبادئه وإجرائه، صلاح فضل، د.ط، كتاب النادي العربي، جدة، ١٩٨٨ :ص ٢٥٦ .

[٦] الفيروز آبادي، القاموس المحيط ج١/ ص ٢٩٥

[٧] الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، الخطيب القزويني (٧٣٩ه) ، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت : ٢ / ٣٥٣.

"فالضد – كما قالوا- يظهر حسنه الضد، ولكن هذه الوظيفه لاتقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية، بل تتعداها إلى غايات أسمى، فلابد أن يكون هناك معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد .[١]

-ولقد توسعت لسانيات النص في أنواع العلاقات التي تنشأ بين الألفاظ المعجمية،واحتوت اللامية على أشكال مختلفة من التضاد الشكلي بين الأسماء والأفعال ساهمت في تماسك النص وانسجامه .

وذلك على النحو التالي :

-رقم البيت (١٧) (يعلو / يسفل) نوع العلاقة "علاقة تضاد" (تضاد عكسي) [٢]

-(١٨) (يروح / يغدو) علاقة تضاد (تضاد عكسي)

-(١٩) (شرّه / خيره)علاقة تضاد (تضاد عكسي)

٢٩- (دعا/ أجاب) علاقة تضاد (تضاد عكسي)

٣٥-(الصبر / الشكوى) علاقة تضاد (تضاد حاد)

٣٨- (أسدلت / شمرّ) علاقة تضاد (تضاد عكسي)

٤٥(تبتئس / اغتبطت) علاقة تضاد (تضاد عكسي)

٤٧(تنام / يقظى) علاقة تضاد (تضاد عكسي)

٤٩-(تحيت / عل) علاقة تضاد (اتجاهي)

٥٠- (أحفى / أنتعل) علاقة تضاد عكسي

٥٢ -(أعدم / أغنى) علاقة تضاد (تضاد عكسي)

٦٠ -(الجن / الإنس) علاقة تضاد (تضاد حاد)

٦٦ - (أولاه / أخراه) علاقة تضاد (تضاد عكسي)

-لقد تنوعت أشكال التضاد على المستوى الشكلي، وجاء (التضاد العكسي) مسيطرًا على الأشكال الأخرى حيث تردد (إحدى عشر مرة)،وذلك لأنّ القصيدة كانت نتيجة لأسباب خارجية ترجع إلى قبيلة الشاعر.ثم جاء (التضاد الحاد)

---

[١] انظر : علم البديع :دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، طب٢، ١٩٩٨مص ١٣٦

[٢] الرقم يمثل رقم البيت في اللامية ثم (يعلو / يسفل) رصد التضاد في البيت ثم بيان نوع العلاقة (تضاد عكسي)

مرتين وجاء (التضاد الاتجاهي) مرة واحدة، وتم توظيف بنية التضاد ضمن التجربة الشعرية التي يعيشها الشاعر، وكونه من أهم وأبرز العلاقات في الإفصاح عن المعاني،وسار مع الأغراض المختلفة للقصيدة، فجاء في سياق الفخر، وفي تثبت منظومة القيم الإيجابية ونفي القيم السلبية، كما أشار بعض الشراح- الزمخشري مثلاً- إلى وجود التناقض بين الألفاظ لتوضيح معاني اللامية .

أ-التضاد/ وسياق الفخر

١-ومن أمثلة ذلك قول الشنفرى :[١]

٤٥-فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطلٍ :. لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول

٤٦-تنام إذا ما نام يقظى عيونها :. حثاثا إلى مكروهه تتغلغل

٤٧-إذا وردت أصدرتها ثم إنها :. تثوب فتأتي من تحيت ومن علُ

-نلاحظ أن العلاقات المعجمية المصاحبة بين هذه المفردات استدعت بعضها البعض – فتبئس:(تحزن) استدعت مايطابقها وهو (الفرح)فإذا حزنت الحرب اليوم لفراق الشنفرى إياها فطالما فرحت قبل ذلك بمزاولته إياها،[٢] وأتي بالألفاظ التي تعبر عن هذا المعنى من (أم قسطل) اسم للحرب، وهو مايقوى ويرشح التضاد، فهو يعزى الحرب برحيله عنها .

-أما لفظة (تنام) تستدعي لفظة (يقظى) "لأنّ الجنايات، هي في نومها يقظى عيونها"[٣]"فأصحاب الجنايات حريصون على التمكن مني لذلك فهم في غاية اليقظة والتربص بي، حتى إنهم إذا قاموا فإن عيونهم تظل يقظى باحثة عني ومترصدة لي، وفي هذا مبالغة تبين شدة البحث عنه وطلبه "[٤]وجاء التضاد على مستوى الأفعال المضارعة، لتبرز لنا حيوية الصراع،والتحمت مع بنية التكرار لتأكيد المعنى الذي يريد الشاعرإيصاله للمتلقي .

-وبما أن الشنفرى ينتقل من مكان إلى مكان ليس أمامه سوى الصحراء المترامية باتجاهاتها المختلفة جاءت لفظة (تحيت) لتستدعي (العلو) من خلال لفظة " عل"

---

[١] لامية العرب "نشيد الصحراء لشاعر الأزد(الشنفرى) منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت –لبنان ص ٨١

[٢] لامية العرب للشنفرى : شرح ودراسة، د/ عبد الحليم حفني، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى : ٢٠٠٨م ص ٢٤

[٣] شرح لامية العرب للتبريزي : د/ محمود محمد العامودي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤١، ج١، ص ١٦٦

[٤] انظر : لامية العرب : شرح ودراسة، د/ عبد الحليم حفني، مكتبة اللامية د/ محمود حفني ص ٢٥

-فـــ (تحيت) تصغير (تحت) وعل: من العلو ويستعمل بفتح اللام وكسرها وضمها وكلها بمعنى من مكان عال .

-واستدع الفعل الماضي (ورد) ماينقضه(أصدر) وهذه المصاحبات المعجمية تربط بينها علاقة (التضاد)سواء بالفعل، أو بالقوة على المستوى الشكلي، ولايخفي مابين الألفاظ من علاقة دلالية خفية يفرضها السياق العام للنص .

فالشاعر في صراع دائم مع الهموم، كلما صرفها عنه تعاوده، فالألفاظ التي وجدت من خلال علاقة التضاد توحي بقرب الهموم منه وإحاطتها به، ولذلك صغَّر لفظ(تحت) ليوحي بملاصقتها إياه، وكذلك أطلق لفظ (العلو) ليشمل كل الأماكن المرتفعة عمَّا تحته .[١]

فجاء التضاد ليخدم هذا المعنى ويُزيد من تماسك النص من الناحية الشكلية والدلالية.

٢-ومن التضاد الحاد أيضًا (الإنس والجن) جاء في البيت (٦٠)

-فإنْ يَكُ من جِنٍّ لأبْرَحُ طارقًا :. وإن يكُ إنْسًا ماكَها الإنْسُ تَفْعَلُ [٢]

وقوله :"فإن يك من جن إلخ : اسم يك ضمير يعود على الطارق المفهوم من المقام، والطارق الذي يأتي ليلاً [٣]،فإن كان الذي أغار عليهم من الجن فهو أشد مغير بالليل وأبرعه، وإن كان المغير من الإنس : فالإنس لاتستطيع أن تفعل ذلك، فهم في حيرة بين أن يكون جنيًا أو إنسيًا "وأصل صيغة الشطر الأول : إن يكن من الجن لهو أبرح طارق بمعنى أعظم طارق.[٤]

ب- التضاد / ومنظومة القيم

١-ويأتي الشاعر بالتضاد ليبرز لنا الصراع رأي العين في منظومة القيم .

-ومن ذلك قول الشنفرى :

١٦ -وَلاَ خَرقٍ هَيْقٍ كَأنَّ فُؤادَهُ :. يَظَلُّ به المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

١٧ -ولا خَالِفٍ داريَّةٍ مُتَغَزِّلٍ :. يَرُوحُ وَيغْدُو داهناً يَتَكَحَّلُ

---

[١] السابق .

[٢] لامية العرب "نشيد الصحراء لشاعر الأزد(الشنفرى) ص ٨٤

[٣] شرح لامية العرب للبغدادي ت محمود محمد العامودي ، مجلة جامعة الأزه : سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١١، المجلد ١٣، العدد ١(A) ص ٨٠

[٤] شرح اللامية د/ عبد الحليم حفني :ص ٣٠

١٨-وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ:. أَلَفَّ إِذا ما رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ[١]

-استطاع الشنفرى من خلال بنية التضاد أن يظهر لنا القضية الكبرى وهي أن (الشنفرى ليس جشعًا للطعام وليس كالرجال الملازمين لزوجاتهم، ولايخاف ظلام الصحراء لأنه ألفها) وقام التضاد في إبراز الصورة البلاغية .

-" والرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل والغدو نقيض الرواح ...ويروح ويغدو حالان من الضمير في متغزل، ويجوز أن يكونا في موضع جر نعتًا لما قبلهما "[٢] وهو ينفي عن نفسه صفات المخنثين التي تتمثل في هذه المظاهر من عدم مزاولة العمل والتفرغ لمغازلة النساء والتشبيه بهن في الإدهان والتكحل [٣]

- فشره مبتدأ ودون خبره،والتقدير لايحول شري بيني وبين خيري [٤]، فشره أقرب من خيره، فهو ينفي عن نفسه التفاهة والضعف والسلبية، ويثبت لها ضمنًا عكس هذه الصفات .[٥]

٢– والشاعر الصعلوك دائمًا يتحلى بسعة الهمة،ولايهمة مايهم أخوانه من الصعاليك من البحث عن الغنى والفقر؛ لأنه إذا قصر همه على ذلك ربما ارتكب الرذائل من أجل جمعه فهو يترفع عن هذا السلوك؛ لذلك جاء (التضاد العكسي) بين الفعل المبني للمجهول (أُعْدِمُ) : وهو الفقر يعكسها (الغني) وأكد بأن ليس همه قضية الغنى والفقر فهما لايعنيانه كما جاء في البيت رقم (٥١)

-وأُعْدِمُ أحيانًا وأَغْنَى وإنَّما :. يَنالُ الغنى ذُو البُعدةِ المُتَبَذِّلُ[٦]

ويؤكد هذا المعنى البيت الذي يليه:

-فلا جزع من خلَّة مُتَكَشِّفٌ:. ولامَرحٌ تَحتَ الغنى أتخيَّلُ[٧]

فنفي الجزع من الفقر عن الشاعر يجعل المتلقى يستحضر في ذهنه (الصبر) والثبات وعدم الفرح والغرور ساعة الغنى وكلها صفات تبين نبل صاحبها وسمو نفسه .فالفقر والغنى ليس لهما سلطان عليه، فلا الفقر يجعله يظهر ضعفه، ولا الغنى يجعله يفرح ويختال وهذا الثبات يدعو إليه قوله تعالى في

---

[١] لامية العرب "نشيد الصحراء " ص ٧٢-٧٣
[٢] لامية العرب شرح الزمخشري ص ٢٥
[٣] لامية العرب شرح د/ عبد الحليم :ص ١٤
[٤] لامية العرب شرح الزمخشري: ص ٢٦
[٥] لامية العرب شرح :عبد الحليم :ص ١٤
[٦] لامية العرب "نشيد الصحراء "ص ٨٢
[٧] السابق : ص ٨٢

سورة الحديد ((**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**))[١]

-ويأتي البيت التالي ليكمل اللوحة (مكارم الأخلاق)

ولا تَزْدَهي <u>الأجهال حلْمي</u> ولاأرى :. سؤولاً بأعقاب الأقاويل أنْمِلُ[٢]

-فنلمح التضاد المعنوي(الخفي) المتدرج بين (الأجهال) وبين (حلمي) فالأجهال : جمع جهل بيد الحمق والسفاهة يقابلها (الحلم) والأناة والتؤدة : فهو حليم لايستخفه الجهلاء والحمقى، وهو يتعفف عن سؤال الناس، وليس المراد سؤال مافي أيديهم، وإنما المراد الأسرار والأحاديث لينقلها، بقصد النميمة وإثارة الفتن، فهذا ليس من خلقه .[٣]

وجاءت بصيغة الجمع لتعبر عن تعدد الصفة وثباتها في نفس الشاعر وهي ليست حالة عارضة عليه، بل متأصلة في نفسه .

٣-وبما أن بيئة الحيوانات صارت بديلاً عن البيئة الطبيعية للشاعر نجده يوازن بين نفسه وبين الذئاب فيبرز (التضاد الحاد) لإبراز الحالة النفسية،فالشاعر يوازن بين نفسه وبين الذئاب فحالهما واحد؛ لأنهما يحملان بداخلهما مرارة الألم من الجوع والجهد، ولايجدان سوى الصبر على هذا القدر المحتوم .يقول الشنفرى :

٣٤-شَكا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعوَى بعدُ وارْعوتْ:. <u>وللصَّبْرُ إنْ لم يَنفع الشَّكْوُ</u> أجملُ

٣٥- <u>وفاءٍ</u> وفاءت <u>بادرات</u> وكلُّها :. على نَكَظٍ ممَّا يُكاتِم مُجْملُ [٤]

جاء التضاد الحاد بين اسمين من حقل معجمي واحد (الصبر) يطابقها (الشكوى)أورد الشاعر كل مشتقات الكلمة لتحمل معنى الشكوى الممزوج بالألم لكلاهما (الشاعر والذئب معًا.

فالشكوى : إظهار حالهما بالعواء والألم والضجيج، ولكنهما لم يجدا نفعًا فكفا عن ذلك، ولجأ كلاهما إلى الصبر .[٥]

---

[١] الحديد ٢٣
[٢] لامية العرب "نشيد الصحراء "ص٨٣
[٣] لامية العرب د/ عبد الحليم حفني : ص ٢٧
[٤] لامية العرب " نشيد الصحراء " ص ٧٧
[٥] لامية العرب : د/ عبد الحليم حفني : ص ٢٠

-وجاء الشطر الثاني كالحكمة ومضمونها (أن الشكوى مادامت لاجدوى منها فالصبر خير منها وأجمل) "وجاء اللام في "للصبر" للابتداء وأجمل خبره والشرط معترض وأن الشرطية إذا تعقبها لم كان الجزم بلم لابها "[١]

-ونجد التضاد الخفي بين (فاء) بمعنى رجع،و(دارت) بمعنى : مسرعات، ومن هنا سمي القمر ليلة أربعة عشر بدرًا لأنه يبادر الشمس بطلوعه، والنكظ : العجلة، يقال جاءنا كظًا : أي مستعجلاً[٢] ويقال النكظ : الضيق والشدة .

وجاء التضاد الخفي ليرسم لنا الصورة الأدبية الرائعة من واقع البيئة لمشهد الذئاب، وأسلوب حياتها موازنًا بين نفسه وبينها : فهو بعد يأسهن من الحصول على طعام واضطرارهن إلى الصبر والتحمل رجعن جميعًا يسرعن كل إلى مأواه، ولكنهن جميعًا يحملن المرارة والألم من الجوع والجهد واليأس، ومع ذلك يكتم كل منهن مايعانيه، وهذا من الحكمة وحسن الصنيع "[٣]

ولاشك أن ورود مثل هذه العناصر التضامية يسهم في النصيّة، وذلك للإضافات التي تضيفها للنص على مستوى المعاني من خلال العلاقات التي توجد بينها، بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه عناصر التضام على المستوى الشكلي والبنائي للنص"[٤]

ج-التضاد / والشّراح

-وقد يلجأ بعض الشراح للامية –الزمخشري مثلاً في شرحه " أعجب العجب" [٥] إلى الحديث عن التناقض لبيان المعنى وإيصاله للمتلقى في يسرٍ ودون تعقيد.

١-جاء قوله في البيت رقم ١٢

-هتوف من المُلس المتون يزينها :. رَصائعُ نيطت إليها ومحْملُ

(والملامسة ضد الخشونة) : أي أن هذا القوس ملساء لاعقد فيها ولاخشونة "[٦] فهو يذكر الضد لإبراز المعنى .

٢-وقوله في البيت رقم(٥٢)

فلا جزع من خلَّة مُتَكشِّفٌ :. ولامَرح تحت الغني أتخَيَّلُ

---

[١] شرح لامية العرب للزمخشري: ص ٥٠
[٢] شرح اللامية للزمخشري: ص ٥١
[٣] الشرح اللامية د/ عبد الحليم حفني: ص ٢٠
[٤] انظر: إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم معلقة طرفة بن العبد أنموذجًا،صالح جوهر: مجلة الأثر، العدد ٢٣جامعة محمد خيضر، الجزائر ٢٠١٥ص ٢٢٩
[٥] الطبعة الثالثة على نفقة محمود أحمد بنظارة الأشغال بمصر، د، ت،
[٦] شرح اللامية "أعجب العجب في شرح لامية العرب :للزمخشري ص ٢٠

الجزع نقيض الصبر ... لاأجزع عند حاجتي ولا أتكبر عند غنائي "[١]

٣-وفي البيت رقم (٥٤)

وليلة نَحْسٍ يصطلى القوس ربُّها :. وأقطُعَه اللاَّتي بها يتنبَّلُ

النحس ضد السعد : والنحس البرد وله أراد هاهنا،والاصطلاء أن تقاسي حر النار وشدتها يقال اصطليت بالنار وتصليت بها ...والواو واو رب، ويصطلي نعت لليلة أي مصطلى فيها وأقطعه معطوف على القوس [٢] وهذه الإشارات تبين وعي الشارح بألفاظ اللامية وما تحوي من ذخائر لغوية، وتبين أيضًا اقتداره في إبراز المعاني الغامضة عن طريق هذه الظاهرة البلاغية.

ووجود الكلمة و استحضار نقيضها الغائب إلى النص له أثرٌ في شدَّ النسيج النصي، وربط المتلقي بمعاني اللامية .

ثالثًا :التضاد/ والمستوى التركيبي

أ- الأنا/والنحن في السياق القبلي

-بما أن تجربة الصعاليك " تجربة إنسانية في المقام الأول وهي إثبات وجود في مقابل نفي وجود؛ فالصعلوك لجأ إلى الصعلكة [٣] كملاذ روحي آمن يهرب فيه هروبًا من إنكار القبيلة وجحودها له

-فنص الشنفرى ينتظم من خلال الضدية (الفعل ورد الفعل) فعل الحضور يقابله فعل الغياب على المستوى الفردي والمستوى الجمعي، بيد أنْ طرفي العلاقة التقابلية محكومان بالجدل، فيستدعي أحدهما الآخر، ويُحيل عليه ؛ إذ يحضر بقرينة غيابه

-فالطرف الأول : عالم الإنسان (إفقارٌ، وإذلالٌ، واستعبادٌ....)

---

[١] شرح اللامية " أعجب العجب في شرح لامية العرب " الزمخشري ص ٦٠

[٢] السابق:ص ٦١

[٣] قال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) في "المحكم والمحيط ": " والصعلوك : الذي لامال له، وقد تصعلك، وتصعلكت الإبل : خرجت أوبارها وانجردت : انظر : أبو الحسن بن اسماعيل بن سيده المرسي : المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١سنة ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٤١٦ / وفي هذا نرى أن المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، إما بمدلوله المباشر وهو التجرد، لأن الفقر في الإنسان هو التجرد من الغنى، وتصعلك الإبل هو تجردها من أوبارها، وكذلك فإن صعلكة الثريدة تجريدها من الضخامة كأن يضمر أعلاها ....ويمكن رد كل هذه الاستعمالات إلى معنى الفقر وآثاره من ضمور وهزال ونحو ذلك ".انظر : عبد الحليم حفني : شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط ١٩٨٧ م، ص ١٧-١٨

-والطرف الآخر عالم الحيوان (ألفةٌ، تعاضدٌ، تكاملٌ، ....) ؛ فقد ضاق الشنفرى ذرعًا بقيم القبيلة، فتمرّد، وثار، بل طلقها ثلاثًا (رفض العصبية القبيلة، وقوانين القبلية) ؛ معلنًا انتماؤه إلى قيم عالم الحيوان .

فالقيم النبيلة التي ارتبطت تاريخيًا ببني الإنسان ينسبها الشنفرى إلى عالم الحيوان، ويرى ضالته في الطبيعة البكر التي لم تلوثها يد الإنسان .

-وبما أنّ اللامية سيرة حياة للشنفرى المتمرد على قوانين القبيلة نجد حضوره في النص حضورًا كثيفًا إذا ماقون بحضور الآخر الذي يشكل عقبة في انطلاقة وتحرره.

١-يتعاور على هذا النسيج النصي : ضمير الشنفرى المستتر (أنا) ثلاثًا وعشرين مرة [١] وضميره المتصل بالاسم والفعل والحرف (ياء المتكلم) اثنتين وعشرين مرَّة[٢] وضميره المتصل بالفعل (تاء الفاعل المتحركة) خمس عشرة مرة [٣]

وضمير الغائب المتصل بالاسم والفعل (ـــــه) المقصود به الشنفرى نفسه أربع مرات [٤]واسمه الصريح (الشنفرى) مرتين [٥]وضمير المتكلمين المتصل بالفعل (نا) المراد به الشنفرى وصحبه مرّتين [٦]، وضمير الغائب المستتر (هو) المقصود به الشنفرى نفسه مرَّة[٧]،والحصيلة حضور الشنفرى (ثلاثًا وسبعين مرة) في نص مؤلف من ثمانية وستين بيتًا، وهذا حضور كثيف، تزداد دلالته كثافة إذا ما قرنَّاه بالصفات والأحوال والأخبار والصور التي أسهمت في تصوير شخصية الشنفرى الشعرية.

٢-أما عن الآخر (القبيلة / القوانين الاجتماعية) : في وجود اللامية قاطعة الشنفرى ولامه وبتر العلاقة مع ذويه، والانسلاخ عن نظامهم الاجتماعي

---

[١] لم أكن، وأغدو، أديم، أميته، أضرب، أذهل، أستفُ، أتحوّل، أطوي، أبرح، أقعى، أمثل، أحفى، لاأنتعل، أجتاب، أفعل، أعدم، أغنى، أتخيَّل، أرى، أنمل، آلف، أعدل .

[٢] أمي، فإني، لطياتي، لي، أنني، إني كفاني، مناسمي، علىَّ، لديّ، بي صحبتي، عنّي وجهي، إما تريني، فإني، حلمي، آساري، منّي، دوني، حولي، كأنَني .

[٣] لست، ولست، ولست، أصدرتها، دعست، أيَّمتُ، أيتمت، عدت، أبدأت، فقلت، نصبت، قطعته، ألحقت، هممت، ولّيت،

[٤] لحمه، عقيرته، مكروهه، تعوده.

[٥] و(أنا) إلف هموم (أنا) طريد جنايات فلا (أنا) جزع ولا(أنا) مرحٌ

[٦] فقلنا، وابتدرنا

[٧] نام

...فهو لايقف من المجتمع موقف اللاقبول فحسب، بل هو ينهج نهجًا هروبيًا إلى الطبيعة خشية الأذى [١]

-ويظهر نفي الآخر عن طريق العتاب الصريح والتعويض عنهم كما جاء في مقدمة اللامية (الأبيات ١-٤)يقول الشنفرى :

١-أقيموا بني أمي صدور مطيكم :. فإني إلى قوم سواكم لأميل

٢-فقد حمت الحاجات والليل مقمر : . وشدت لطيات مطايا وأرحل

٣-وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى :. وفيها لمن خاف القلى متعزّل

٤-لعمرك ما بالأرض ضيق على امريء:. سرى راغبًا أو راهبًا وهو يعمل .

٣-وفي عمليات الطرح والاستبدال، والنقض والتعويض، تتحقق ثنائية الهدم والبناء من منظور الشنفرى، على المستويات النصية المختلفة من المعجمي إلى الدَّلالي (هدم الرابطة الأهلية) (وبناء رابطة جديدة) من عالم الوحوش ينعم فيها بالاستقرار والأمان بدلاً من الحرمان والنكران والنبذ من قبل القبيلة .

-ونجد بين هذه الأبيات التقابل الإحالي بين (الفردي- منأى الكريم، نشدان الحرية،الأمن، الحب، الحرية، البراح، الإرادة،) يقابلها على النقيض (الاجتماعي،مستقر اللئيم، الضيم، الأذى، الخوف، الكره،الضيق، الخنوع)

٤-ويظهر عملية التعويض والتفضيل في الشريحة النصيية التي تبدأ من البيت(٥- ٩)

حدد في هذه الأبيات انتماؤه الجديد وهو انتماء يغذيه الوهم ؛لأنه يبحث عن ملاذ أمني جديد يركن إليه وينعم بالاستقرار فيه[٢]

وتتركز هذه العلاقة التقابلية في الأبيات التالية :[٣]

٥-وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون: سِيدٌ عَمَلَّسٌ :. وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ[٤]
٦-هُمُ الأهل لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ :. لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
٧- وكلُ أبّي باسل غير أنَّني :. إذا عرضت أولى الطرائد أبسلُ

---

[١] انظر : مقالات في الشعر الجاهلي : يوسف اليوسف

[٢] انظر : رسالة دكتوراه بعنوان : الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجًا) للباحث : حرشاوي جمال، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٦م ص ١١٢

[٣] لامية العرب، نشيد الصحراء لشاعر الأزد (الشنفرى) منشوات مكتبة الحياة –بيروت –لبنان ص٩

[٤] أهلون : جمع أهل، والسيد بكسر السين :الذئب، والعملس : الذئب القوي السيع، والأرقط : النمر الذي في جلده بياض وسواد، والزهلول الأملس، والعرفاء : الضبع الطويلة العرف، وجيأل : اسم للضبع / انظر : شرح وداسة لامية العرب للشنفرى د/ عبد الحليم حفني، مكتبة الآداب ٢٠٠٨ ص ٩

٨-وإن مُدت الأيدي إلى الزاد لم أكن :. بأعجلهم إذا أشجع القوم أعجل
٩-وماذاك إلا بسطة عن تفضُّل :. عليهم وكان الأفضل المتفضل

تأخذ العلاقة التقابلية بعدها الحدي الواضح، وتبلغ أوج اكتمالها في تجلية الفرق بين طرفى الثنائية،في هدم الرابطة الأهلية وإنشاء رابطة جديدة يقوم فيها الوحش بالصفات الإنسانية على أساس التعاطف والتكامل والتعاضد .
-وإذا تأملنا التعبير نجد أن الشنفرى استبدل بالأهل ذوي القربي أهلون وهم (السيد) و(أرْقط) و(العرفاء) أهلاً بذاته كاملاً الأهلية المحققة في جمع يثري المعنى، وعلى ذلك يأتي أسلوب القصر ؛ قصر الصفة على الموصوف (هم الرهط) تحقيقًا لمعنى الكمال فيها من حيث الأهلية والقرب .
وأطلق الشاعر على هذه الوحوش (الأهلون) لتنزيله هذه الوحوش الثلاثة منزلة الأهل الحقيقي .وضح هذا مابعده

(ولي دونكم) التفات من الغيبة إلى الخطاب، خاطب به أهله

يقول (اتخذت هذه الوحوش أهلاً بدلاً منكم ؛لأنها تحميني من الأعداء، ولاتخْذلني في حالة الضيق، وهذا تعريض بعشيرته، وفي أنهم لاحماية لهم كهذه الحيوانات)[١] ولقد بين انحسار الأهلية فيهم دون من عداهم من الإنس بقوله (لامستودع السر إلى آخره، أي السر المستودع عندهم غير ذائع)[٢]
-وبعدما أجمل الشنفرى في مسألة التعويض والبناء الجديد يفصّل ذلك في الأبيات (١٠-٢١) حتى لايتوهم السامع معنى آخر غير الذي أراده الشاعر.
يقول الشنفرى :

١٠-<u>وَإنّـي كَفَانِي</u> فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً :. بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ
١١-ثَلاثَةُ أَصْحَابٍ: <u>فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ</u> :.<u>وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ</u>
١٢-هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ تَزِينُهَا :.رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ
١٣ -إذا زَلَّ عنهاالسَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها:. مُرَزَّأةٌ عَجْلَى ثُرِنٌّ وَتُعْوِلُ[٣]

مركز هذه الشريحة النصية في بنية صغرى مركزها ضمير المتكلم الذي يمثل الشنفري في فعل الكفاية (كفاني) وعلى هذا المركز تقوم علاقة الفاعلية والمفعولية :(كَفَانِي ثلاثة أصحاب فقد مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ)
فما يفتقده الشنفرى ويطرحه يعوضه فاعل الكفاية (ثلاثة أصحاب) الذي يستوى ضدًا له وبديلاً منه، وبهذا يتضح أن طرفى التقابل: هما قطبا (الفاعلية

---

[١] شرح لامية العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق : محمود محمد العامودي، مجلة جامعة الأزهر بغزة سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١١، المجلد ١٣، العدد ١ (A) ص٤٨
[٢] السابق ص ٤٩
[٣] لامية العرب "نشيد الصحراء " ص ٧١

والمفعولية) المتعيّنان في علاقة تقوم على تقابل (السَّلب والإيجاب)، (والحضور والغياب)، فالحاضر في النص هو طرف الفاعلية الموجود والغائب هو طرف المفعولية المفقود، ومن داخل هذه العلاقة تجري الإحالة من واحداهما إلى الآخر .[١]

-وإذا كان تحدث في القسم السابق عن ثلاثة حيوانات عاش معهم، يتحدث هنا عن ثلاثة أشياء – أيضًا- هي(قلب حديدي، وسيف حاد صقيل،وقوس قوية مكتملة)

فهو يتحدث عن ذاته لأنه يمتلك قلبًا حديديًا لايهاب الموت كما يمتلك سلاحًا حادًا وهذا السلاح هو امتداد لشخصيته؛ فالشنفرى ينطلق من لاشعوره ويحاول أن يقنع نفسه أنه ينتمي إلى وجود إنساني جديد هو نفسه أو شخصيته، وهذا الاقتناع هو نوع من التعويض النفسي عن انتمائه السابق للقبيلة [٢]

وهذه المواجهة من الفردي إلى الجمعي في صيغتي المخاطب والمتكلم، وفي هذا الصراع الدائر تتحقق ثنائية (الهدم والبناء) الذي بدوره يساهم في الاتساق النصي، لتوفر قرائن انسجام النص.

ب- :التضاد /والحقل الدلالي

يرى الدكتور عمر محمد الطالب :" أن المعجم الشعري الجاهلي لايختلف في المفردات المعجمية للحقول الدّلالية الكبرى، بل هناك حقول أساسية يمكن اعتبارها محاور يشترك فيها أغلب النّتاج الشعريّ لذلك العصر[٣]

-علاقة الشاعر الصعلوك بالطبيعة والحيوان والنبات

-علاقته بالإنسان وأحواله من خير وشر، وفر وكر، وسعي من أجل الحصول على القوت .

-تعامل الشنفرى مع القيم والمعتقدات.

ويشكل المعجم الشعري القائم على الصراع بين الشاعر وأهله علاقة تقابلية، فالحقل الدلالي لقطب الأهل يحمل المرارة والأسى ونكران الجميل والأذى، بينما يحمل (قطب النفس) قيم نبيلة من علو الهمة وسمو النفس وترفعها عن

---

[١] انظر : بحث لامية الشنفرى التقابل الإحالي في علاقة الحضور والغياب د/ ناصيف محمد ناصيف، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٣٨) العدد (٣) ٢٠١٦، ص ١٥٨

[٢] انظر : رسالة الحصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجًا) ص ١١٥

[٣] انظر :عزف وتر النص الشعري (دراسة في تحليل النصوص الأدبية)د/عمر محمد الطالب منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٠ ص : ٤٩

الضغائر .وكذلك حقل القيم الإيجابي يقابله منظومة القيم المرفوضة من قبل الشاعر .

أولاً-معجم الأهل / في مواجهة معجم النفس

وهكذا ينتظم اللامية كلها في تقابل إحالي[١] بين قطبين كالآتي : [٢]

قطب ((مجتمع الأهل)) (-)	قطب ((مجتمع النفس))(+)
الأذى، والبغض، ونكران الجميل، والنّكد، والفساد، والضيم، والجزع، والخيلاء، والجشع، والجبن، والبلادة، والخوف، والتَّخث، والعجز، والجهل، واللؤم، والأنانية	الكرم، والعقل، وكتمان السر، والعفو عن الذنب، والبسالة، والتفضل، والإقدام، واجتناب الدَّام، والحرية، والسرعة، والحلم، والرأي، والحزْم، والعمل، والغنى، والقوة، والصبر،والشجاعة، والتعاضد، والإيثار، والتسامح، والعفة، وعلو الهمَّة، والطموح، والترفُّع عن الدَّنيَّة، والكَدّ

ونلاحظ من هذين الحقلين مايلي :

١-يشكل هذا النوع من التضاد والتقابل الإحالي تحولات ومتغيرات دلالية تؤدي الى تشابك سياقات النص عن طريق تضافر البنيات القائمة على التضاد (الحاد) والمتدرج، الظاهر والخفي، والذي يتمركز بدوره في النص الشعري[٣] ويمتزج الفعلية مع الاسمية في تشابك دلالي في تحريك التركيبات داخل النص الناتج .

---

[١] الإحالة في لسانيات النص تعد رابطًا مهما ذا دور فعال في اتساق النص وربط أجزائه بعضها ببعض وهي لاتخضع لقيود نحوية، وإنما تخضع لقيود دلالية وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه انظر : خليل بن ياسر البطاش، الترابط النصي في ضوء تحليل اللسانيات للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ط١، ٢٠٠٩، ص ١٦٥
فالإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وماتشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم : انظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، د، ط، د، ت، ص : ٨-٩

[٢] انظر :بحث لامية الشنفرى " التقابل الإحاليُّ في علاقات الحضور والغياب : د/ ناصيف محمد ناصيف : مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد(٣٨) العدد (٣) ٢٠١٦ استفاد الباحث من هذا البحث في إيراد الجداول

[٣] ينظر: ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل، عصام شرتح، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥ : ٥٣ .

٢-إن نسقية التضاد أخذت بالتعمق في فضاء النص في دلالات عملت على تناسج العلاقات على أكثر من محورٍ فتتقاطع وتلتقي وتتصادم، لتغني النص بتعدد الدلالة فيه[١] لتشكل في النهاية الصورة الشعرية القائمة على المفارقة .

٣-لاتتحدد صورة الشنفري الشعرية المتخيّلة بالقيم الإيجابية في الحقل الدلالي لـــ((مجتمع النفس)) وحسب، بل ترتسم أيضًا بوصفها نقيضًا للقيم السَّلبية في الحقل الدلالي لـــ((مجتمع الأهل)) ويكتمل تشكلها بالصراع بين قيم الحقلين ؛ وفي حُمَيَّا الصراع بين القطبين تنتظم نسيج اللَّامية .

ثانيًا- معجم القيم السلبية /في مواجهة القيم الإيجابية

-من الممكن تقسيم معجم القيم المتميز إلى محورين أساسين : أخلاقي واجتماعي ويشمل هذان المحوران مجموعة من القيم يمكن اعتبارها أهم المحاور التي دار في فلكها شعر الشنفرى :

١-**المعجم الإيجابي** (أبي –مستبسل – الكريم- البسطة – الحسنى – المشيع – لست بمهياف – أكهى- مرب بعرسه – لاخرق- لاخالف- لادارية- متغزّل- داهنًا- يتكحّل- لست بعلّ- لست بمحياز- نفسًا مرّة- الصبر – مجمل- الحزم – الخير)

ولقد شكل محور القيم الفاضلة (الإيجابي) جوانب متعددة منها :

أ-البسالة وعبر عنها بألفاظ متعددة أهمها (الكمي – أبي مستبسل –الورد- المشبع- لاخرق النفس المرة...)

ب-السخاء والعطاء كما في (أكثرت- إنّي لحلو، عراضة- البسطة)

ج-الوراعة : ورد حقل العفة والطهر ثريًا بألفاظه غزيرًا بمعانيه ودلالاته ويمكن تصنيف قيم الطهارة والعفة إلى صنفين فيها مايتعلق بالشاعر ذاته حيث كانت نفسه أبيّة عفيفه، تأنف الضيم وتأبي القهر والقسر، تترفع عن الدّنايا ومنها (لادارية، لامرب بعرسه، لاخالف لامتغزّل- يتكّحل-) ...وهي ألفاظ اختار فيها طريقة النفيّ

ولم يقتصر المعجم القيمي الإيجابي على ماسبق بل نجد شيوعًا للألفاظ الدالة على الصبر والرجولة والأمانة، والودّ وغيرها من الأخلاق السامية .

٢-**المعجم السلبي** (خمص – تقلت- ربع فؤادي – الحفيّ- الأذى- الضّيق)

---

[١] ينظر :الشنفرى من خلال الثنائيات الضدية في لامية العرب (دراسة في ضوء القراءة الأنثروبولوجية) على أكبر نور سيده، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الثالث والعشرون ربيع وصيف ١٣٩٥هـ. ش / ٢٠١٦م

ولقد شكل هذا المعجم عدة محاور :

أ- القيم ذات الطابع السّلبي كانت أكثر شيوعًا في شعره، وتوظيف الشنفرى لها لايعني الإقرار بها؛ بلأعلن رفضه التّام لها . وتنقسم إلى ماهو اجتماعي، وماهو أخلاقي .

ب-أما الاجتماعي يأتي في مقدّمتها (الفقر ومايدور في فلكه من خمص وظمأ) إذ أنّ تجربة الشاعر مريرة ذاق فيها الحرمان وشظف العيش .

ج-ومن الألفاظ التي تدل على الفقر وما ينجم عنه من تأثيرات سلبية على الإنسان من جوع وعطش وغيرهما (ظمأ خمص، أقلت، جياع العيل، جرد، الجوع، أستف، ترب الأرض، القوت الزهيد، طاويًا الهافي، مرمل، نكظ، رقة أعدم، لا أتنعل، الخلة / المكتشف، سعار، الهزال) وهي ألفاظ تكشف عن الحالة المزرية التي عاشها الشاعر، ورفاقة جراء الفقر والنّكظ.[١]

-ويظهر التقابل الإحالي في منظومة القيم بين (السلبي والإيجابي) من خلال هذه الأبيات

٧-وَكُلُّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي :. إذا عَرَضَتْ أولَى الطرَائِدِ أبْسَلُ

٨-وَإنْ مُدَّتِ الأيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أكُنْ:. بَأعْجَلِهِمْ إذْأجْشَعُ القَوْمِ أعْجَلُ

٩-وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ:. عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[٢]

-ذلك أن هذه المقومات التي تَسِمُ مجتمع الغاب، وتتوارد عليها كائناته الوحشية، تردُ على أضدادها في مجتمع بني أمّ الشنفرى، فللحاضر منها في النص يُحيل على مُقابله الغائب هناك، أو يستدعيه بالتضاد، إلى دائرة الحضور، فالشنفرى الذي ينتمي إلى مجتمعه البشريرىنفسه في (إنسانية الغاب)فيتخذها ملاذًا لتعوّضه حلميًّا من الفقد والانبتات ؛ إذ يتمرأى في صور كائنات الطبيعة الوحشية، ويتّحد بها في طبائعها المضروبة على البسالة والإباء بل ربما كان يفوقها في بعض هذه الخصال المتشاركة ؛ فهو (الأفضل، المتفضل، الأبْسلُ)فهو مع الشجاعة الفائقة لهذه الوحوش إلا أنه أبسل منها في مطاردة الفرائس [٣]

[١] انظر : رسالة الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجًا) ص ١٤٢
[٢] لامية العرب : نشيد الصحراء: ص ٧٠
[٣] انظر : شرح لامية العرب للشنفرى د/ عبد الحليم حفني ص ١٠

خامسًا :الخاتمة ونتائج البحث

١-غلبت على اللامية موضوع الفخر وقد تضمّن ثلاثة أهداف : الأول تأكيد ذات الشاعر الصعلوك وقوته وبطولته في غزواته، الثاني مناط بالثأر من أبناء القبيلة والنيل منهم، والثالث موجّه –ضمنيًا- إلى الخصم والعدو ليهاب جانبهم ويخاف من سطوهم .

٢-احتوت اللامية على صور بليغة وصادقة عن حياة القهر والفقر التي عاشها الشنفرى من جراء معاناته مع ظروف قبيلته التي سلبته حريته واستقراره .

٣-عكست اللامية حياة الشنفرى في بيئته الصحراوية وصراعه مع الحيوانات المتوحشة والمفترسة .

٤-وظف الشنفرى اللغة توظيفًا فنيًا، استطاع بواسطتها توجيه المتلقي، وجعله يدرك المعنى بكل حرية ؛ فعندما استخدم التركيب البلاغي، فهو يريد أن يوجه إلى المتلقي رسالة كما يبدها هو، وكما يتصورها ؛لأن الخطاب الشعري هو قوة تأثيريه في إيصال المعنى والإبانة عنه .

٥-استمد الشنفرى معانيه من التجربة الحسية حيث ترتسم صور المحسوسات في خياله، ثم بعد ذلك يقيم العلاقات بينها، ليتمثل المعنى، ويكثفه في ذهن المتلقي بطريقة فنية دقيقة مما يحدث أكبر الأثر في نفسه لإقناعه بتجربته الشعرية .

٦-استطاع الشنفرى من خلال هذا النص ان يبرز الثنائيات الضدية كسرد للحياة التي يعيشها، لتعبر عن الصراع والذي بدوره يجسد النسق الضدي في رفض تفاصيل الدهر وتناقضاته،

٧- لقد تجلت ظاهرة التضاد والتقابلات الدلالية في لامية العرب للشنفرى على المستوى الشكلي، وعلى المستوى الدلالي، وعلى مستوى الأفكار وعلى مستوى الرؤية .

خامسًا: المصاد والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة المنورة .

١-الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢

٢- إعراب لامية العرب للشنفرى، أبو البقاء العكبري، تحقيق : محمد أديب عبدالواحد، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٩٨٤م

٣-ديوان المفضليات: المفضل الضبي، تحقيق : أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف،مصر، الطبعة السادسة، (ب-ت) ،

٤-ديوان الشنفرى،تحقيق د/ أميل بديع يعقوب،دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان،الطبعة الثانية، ١٩٩٦،

٥-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي د/ يوسف خليف، طبعة دار المعارف د،ت

٦-الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي عبده بدوي : : الهيئة المصية العامة للكتاب – مصر د،ت سنة ١٩٨٨،

٧-شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، عبد الحليم حفني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط ١٩٨٧

٨-شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، أحمد كمال ذكي دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – مصر د، ط سنة ١٩٦٩ .

٩-شرح لامية العرب للشنفرى : شرح ودراسة، د/ عبد الحليم حفني، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى : ٢٠٠٨م

١٠-شرح لامية العرب للتبريزي : د/ محمود محمد العامودي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤١، ج١،

١١-شرح اللامية "أعجب العجب في شرح لامية العرب :للزمخشري الطبعة الثالثة على نفقة محمود أحمد بنظارة الأشغال بمصر، د، ت،

١٢-العلاقات الدلالية في التراث العربي، دراسة تطبيقية، د. عبد الواحد حسن الشيخ، الإسكندرية، مكتبة الإشعاع، ط١٤١٩/١١هـ .

١٣-علم الأسلوب مبادئه وإجرائه، صلاح فضل، د.ط، كتاب النادي العربي، جدة، ١٩٨٨

١٤-علم البديع :دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، طب٢، ١٩٩٨

١٥-لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب :محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ط١، ٢٠٠٦

١٦-لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م

١٧-الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، الخطيب القزويني (٧٣٩ه) ، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

١٨-لامية العرب "نشيد الصحراء لشاعر الأزد(الشنفرى) منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت –لبنان

١٩-المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده : تحقيق : عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١سنة ٢٠٠٠م،

الدوريات العلمية

١-إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم معلقة طرفة بن العبد أنموذجًا، صالح جوهر: مجلة الأثر، العدد ٢٣جامعة محمد خيضر، الجزائر ٢٠١٥

٢-الشنفرى من خلال الثنائيات الضدية في لامية العرب (دراسة في ضوء القراءة الأنثروبولوجية) على أكبر نور سيده، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الثالث والعشرون ربيع وصيف ١٣٩٥هـ. ش / ٢٠١٦م

٣-شرح لامية العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق : محمود محمد العامودي، مجلة جامعة الأزهر بغزة سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١١، المجلد ١٣، العدد ١A))

٤-لامية الشنفرى التقابل الإحالي في علاقة الحضور والغياب د/ ناصيف محمد ناصيف، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٣٨) العدد (٣) ٢٠١٦،

الرسائل الجامعية

١-الأسلوب في لامية العرب للشنفري "دراسة في البنية اللغوية، رسالة دكتوراه،رشيد بن قسيمة،جامعة محمد، الجزائر، ٢٠٠٩

٢--الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، رسالة ماجستير كلية دار العلوم، القاهرة، مصر

٣-الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجًا)رسالة دكتورته، للباحث : حرشاوي جمال، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٦م

٤-صورة المرآة في شعر صعاليك العرب : رسالة ماجستير،عبد العزيز بزيان، جامعة منتوري : قسطنطينة، طلية الآداب واللغات، ٢٠١٢م